مخطوط تفسير إلهام الرحمن للشيخ عبيد اللّه السندي دراسة في المنهج والمضمون

سيد متين أحمد شاه*

تاج أفسر**

المقدمة

إن علماء الأمة قد تركوا لنا تراثًا علميًا هائلًا ذخرت به المكتبةُ الإسلامية، والمطبوع من هذا التراث أقل من المخطوط، ومخطوطاتنا تزدحم بها مكتبات العالم في الشرق والغرب، ثم إن الكلام عن التراث بدأ حينما ظهرت المطبعة، واكتشفت آلات الطبع التي جعلت أمر الكتابة سهلًا وجعل المثقفون يتحدثون عن المخطوطات وطبعها، وكانت طريقة النشر عبارة عن مجرد طباعة النص المخطوط دون اهتمام بمقابلة النسخ المتعددة إن وجدت، ولا تصحيحها، ولا الفهرسة لها. وقد بدأت مهمة نشر التراث الإسلامي عند المستشرقين، وما زال هذا العمل قسطًا جوهريًا في مجال البحث والتحقيق، فقام كثير من طلبة العلم بتحقيق المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم، وقد حظيت المكتبة الإسلامية بحظ وافر من تحقيق المخطوطات والتراث والنصوص العلمية، ونشط في ميدانه كثير من رجال العلم الذين شاركوا في إحياء التراث الإسلامي، وأصبحت بعض الجامعات العربية تشترط أن تكون أطروحة الدرجة العلمية في تحقيق كتاب من كتب التراث، وهذه كلها عوامل رئيسة كان لها أثر في إماطة اللثام عن هذا العباب الزاخر من

* المحاضر بمجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

** أستاذ مشارك بكلية أصول الدين، رئيس قسم التفسير، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

مصنفات السلف التي تزخر بها مكتبات العالم.

والمراد من تحقيق المخطوطات إخراج غير المنشور إلى منصة المنشور بثقة أن ما جاء في حلة النشر الشهباء هو حصيلة فكرة مَنْ نسب إليه بألفاظه بقدر الإمكان.

ولو نمعن النظر إلى التراث الهائل المبعثر في مكتبات شبه القارة الهندية، نشعر بأن هذا التراث له قيمة علمية كبيرة وأنه بحاجة ماسة إلى إخراجه في ثوب الطباعة بعد البحث والتحقيق كي يزدهر تراثنا، وهذه المصنفات تتعلق بجميع الآداب والفنون على رأسها علم التفسير، فلأهل الهند مصنفات كثيرة في هذا التفسير وترجمة معاني القرآن الكريم وكتب التفسير على بعض أجزاء القرآن وفي تفسير آيات القرآن والشروح والحواشي على كتب التفسير والكتب في علوم القرآن وفي علم القراءة والتجويد وما إلى ذلك.

ففي مجال تفسير القرآن الكريم وعلومه نجد شخصية علمية فذة لها باع طويل في هذا الباب، ألا وهي شخصية الشيخ عبيد الله السندي (١٨٧٢-١٩٤٤م) الذي كان حقا شارحًا كبيرًا لعلوم وفلسفة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي هو يعد من المفكرين الإسلاميين والرواد البارزين في شبه القارة، وإنه كتب في الجوانب السياسية والاقتصادية للإسلام، فمشيرا إلى جانبه هذا يقول الشاعر محمد إقبال:"إن كتابة الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي عن السياسة والاقتصاد محيرة للعقول جدا في زمن كانت قوى المسلمين العلمية والعملية في معرض الزوال في مجال السياسية والحكومة، وكان الناس يتوغلون في أمور لاطائل تحتها، وإن الشاه ولي الله هو الرائد الحق لنشأتنا الثانية"[١]. ويقول أيضا: "نحن- المسلمين -في مواجهة مهمة كبيرة جدا، وإني أرى لزاما علينا أن نفكر في الإسلام من جديد كنظام حيّ دون أي انقطاع عن ماضينا، ولعل الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي هو أول من شعر بالنهضة الجديدة"[٢]. ويكتب إقبال في رسالة إلى المولوي أحمد رضا البجنوري[٣]: "هل يمكن لك أن تقترح لي اسما لعالم له نظرة ثاقبة على الفقه الإسلامي والأصول والفقه والتفسير مع الخبرة التامة بفلسفة الشاه ولي الله وكتاباته، فلو وجدت هذا العالم،

---

١ - سيد نذير نيازى، ***اقبال کے حضور*** (لاهور: أكاديمية إقبال، ٢٠١٢م) ص ٣٠٣.

٢ - محمد إقبال، **تجديد الفكر الديني في الإسلام**، ص٩٧.

٣- توجد في مكاتيب محمد إقبال مكاتيب إلى الرجل المذكور ولم أستطع الوصول إلى ترجمته.

أعدّ له فرصة القيام عندي لقسط من الوقت وأدفع له عوضا عن ذلك مكافأة مالية"[٤]. لعل محمد إقبال لم يعرف الشيخ عبيد الله السندي في هذا الصدد، فإنه كان شخصية لائقة لهذه المهمة العلمية.

يقول الشيخ السندي عن تدبره القرآن وتذوقه:"ما زلت أطالع القرآن العظيم و**حجة الله البالغة** منذ ١٢، ١٣ سنة، وفي ذلك الزمان قمت بحل ما أشكل من القرآن لديّ على أصول الإمام ولي الله الدهلوي، وأما الذين لايعرفون مكانة الإمام ولي الله، فلا أدعي أن أجعلهم مطمئنين، ولكنني رأيت آنذاك برنامجا عمليا للتعليم العملي حسب ما أرى[٥]، ومن الإنتاجات التفسيرية للشيخ تفسير **إلهام الرحمن** وفي السطور التالية سأقوم ببيان منهج تفسير **إلهام الرحمن** ومضمونه، ومحاور البحث كما يلي":

المبحث الأول: دراسة المؤلف

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف الشيخ عبيد الله السندي

المبحث الثاني: دراسة التفسير

المطلب الأول: نسبة التفسير إلى الشيخ السندي

المطلب الثاني: الميزات المهمة لتفسير **إلهام الرحمن**

الدراسات السابقة:

إن تفسير **إلهام الرحمن** قد طبعت منه ترجمة سورة البقرة من العربية إلى اللغة الأردية وهناك توجد كتب حول الفكرة العامة للشيخ ولكن حسب علمي، لم يقم أحد من الباحثين بدراسة منهج التفسير ومضمونه فاخترت هذا الجانب للبحث والدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

كما يقدر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط، بما في ذلك من مكررات

---

٤ - محمد عطاء الله، ***اقبال نامہ*** (لاهور: أكاديمية إقبال) ص٢٤١- ٢٤٢.

٥- عبد الله اللغاري، ***مولانا عبید اللہ سندھی کی سرگذشتِ کابل***، رتبه الدكتور غلام مصطفى خان، ***خود نوشت حالات*** بقلم الشيخ عبيد الله السندي (إسلام آباد: ***قومی ادارہ برائے تحقیق تاریخ وثقافت***، ٢٠١٧م) ص١٤.

للنسخة الواحدة ولم يطبع منها حتى الآن معشار عشرها وتفسير **إلهام الرحمن** من تلك المخطوطات التي بحاجة إلى الإخراج في ثوب الطباعة ولكن قبل ذلك لا بد من دراسة منهجه ومضمونه حتى يتبين أمام القارئ مدى قيمة التفسير فنظرا إلى ميزاته التي سيأتي ذكرها، قمت بدراسة منهجه في هذا المقال.

منهجي في هذا البحث

اخترت في هذا البحث المنهج الوصفي لكي تتجلى أهم ميزات وخصائص التفسير.

وصف مخطوط التفسير ومطبوعه:

إن نسخة من تفسير **إلهام الرحمن** موجودة في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية الجناح البحثى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، وهناك توجد مخطوطات أخرى للتفسير فحصلت على مخطوطتين أخريين للتفسير إحداهما من السند وثانيتهما من ماليزيا.

إن نسخة مجمع البحوث الإسلامية محفوظة في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية برقم: ٨٦،٨٥،٨٤ ومصورة بميكروفيلم برقم: ٨٦،٨٥،٨٤ وهي نسخة نفيسة بغلاف جلدي، وعدد أوراقها ٦٦٨ ورقة للمجلد الأول و ٣٩٦ للمجلد الثاني و ٤٤٦ ورقة للمجلد الثالث، وعدد أسطر كل صفحة ٢٠ سطراً على الاختلاف. ومن الجدير بالذكر أن هذا المخطوط ليس في خط واحد وبيد ناسخ واحد، بل يظهر بعد مقابلة الألواح من المواضع المختلفة أن المخطوط قد نسخ تارة بخط النستعليق ومرة بخط النسخ.

طبع بعض أجزاء هذا التفسير في حيدر آباد عام ١٩٧٨م وقبل ذلك طبعت مرات عديدة من دار بيت الحكمة فيما بين الأعوام ١٩٥٠-١٩٦٠م. وقد طبعت ترجمة جزء من تفسير سورة البقرة إلى اللغة الأردية.

المبحث الأول: دراسة المؤلف

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف الشيخ عبيد الله السندي

ولد الشيخ السندي في التاسع من شهر المحرم الحرام ١٢٨٩هـ في سيالكوت، وأجلت منية والده قبل ولادة الشيخ السندي، فتربّى في حجر خاله وتعلم العلوم المختلفة في المدرسة الإنكليزية، وبعد ما رآه في

المنام أنه قد مال إلى دين الإسلام وقرأ بعض الكتب **كتحفة الهند**[٦] للشيخ عبيد الله البائلي[٧] **وتقوية الإيمان** للشيخ الشاه إسماعيل الدهلوي[٨] حتى دخل نور الإسلام في صدره، فغادر بيته مهاجرًا إلى الله إلى أرض السند سنة ١٣٠٤هـ وأسلم على يدي الشيخ محمد الصديق البهرجوندوي(بھرچونڈوی)، وبعد مبايعة السلوك على يده اشتغل في طلب العلم، وبعد اكتمال التعليم الابتدائي سافر إلى ملتان ومنها إلى ديوبند، وقرأ بعض الكتب ثم سافر إلى كانبور وقرأ على يدي الشيخ أحمد حسن الكانبوري[٩]، ثم رجع إلى ديوبند وتتلمذ على يدي الشيخ محمود حسن،[١٠] ودرّس بمدرسة الرشاد في السند، ثم رجع إلى ديوبند وأسس مؤتمر جمعية الأنصار لأجل اجتماع الرفقاء القدماء لدار العلوم بديوبند لتربيتهم وبث الحركة فيهم، ولكن لأجل بعض الخلافات مع الرفقاء سار إلى دهلي وأسس نظارة المعارف بفناء المسجد الفتحبوري وأخذ يدرس القرآن **وحجة الله البالغة** والكتب الأخرى، وبعد نشوب الحرب الكبرى الأولى سافر إلى أفغانستان بحمل رسالة الجهاد ضد الاستعمار، وفي خامس ذي الحجة من سنة ١٣٣٣هـ ورد في كابل ولقي الأمير حبيب الله خان

٦- هذا كتاب في تحقيق ديانة الهنود مطبوع متداول.

٧- هو عبيد الله السلفي البائلي صاحب **تحفة الهند**، وهي رسالة هدى الله بها كثيرا من الناس منهم الشيخ عبيد الله السندي الذي قبل الإسلام وكان اسمه قبله اننت رام. انظر: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** المسمى بـ **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر** (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩م) ج٨، ص١٢٩٩.

٨- هو الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي ، ولد بدهلي لـ: ١٢ من ربيع الثاني سنة ١١٩٣م، وقرأ كتب الدرس عن عميه الشيخ رفيع الدين والشيخ عبد العزيز، ثم لازم السيد أحمد بن عرفان الشهيد وقد استشهد في بالاكوت. له كتب منها **عبقات وتقوية الإيمان** وغير ذلك.(المصدر نفسه، ج٧، ص٩١٤).

٩- هو الشيخ أحمد حسن الحنفي الكانبوري من العلماء المشهورين في كثرة الدرس والإفادة، لازم لطلب العلم الشيخ لطف الله بعليكره وتخرج عليه وولي التدريس بمدرسة مظاهر العلوم في سهارنبورفدرس بها ثم ولي بفيض عام في كانبور، وكان عالما جامعا بين العلم والعمل، مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ببلدة كانبور.(الحسني، المصدر نفسه، ٨: ١١٧٩.)

١٠- هو الشيخ محمود حسن أول تلميذ في مدرسة دار العلوم ديوبند، قد أسر على أيدي الإنكليز في مالتا مع تلامذته، ويعرف بلقب شيخ الهند، ومن أساتذته محمد قاسم النانوتوي، ومحمد يعقوب النانوتوي ورشيد أحمد الجنجوهي، وبايع على يد الشيخ إمداد الله مهاجر المكي ومن كتبه ترجمة معاني القرآن، وإيضاح الأدلة والأدلة الكاملة.

والي أفغانستان، واقترح عليه زحف الجنود إلى الهند واتفقوا على أنه إذا نجحت هذه المهمة فإنه سيجلس على عرش دهلي ابن من أبناء الأمير كملك دستوري للبلاد، وقامت في كابل حكومة هندية موقتة كان رئيسها راجه مهندر برتاب أحد الثوار من الولاية الشمالية الهندية، وكان الشيخ السندي وزير الأمور الداخلية في هذه الحكومة، وبدأ عبيد الله يشكل جماعة ثورية سماها جنود الله، وأرسل في هذه المدة رسائل سرية إلى الشيخ محمود حسن والتي اشتهرت بالرسائل الحريرية المكتوبة على منادل من الحرير، ولكن مثل هذه المهمات قد جرت المكابد إلى الشيخ السندي في أفغانستان، وأثناء ذلك كان الشيخ يركز على تعليم المثقفين الجدد المهاجرين من الهند إلى أفغانستان، ولكن بعد مدة قد اغتيل الأمير حبيب الله خان[١١] وخلفه ابنه الأمير أمان الله خان[١٢]، ونشط الشيخ السندي في مهمة الجهاد، وخلال ذلك نشبت الحرب بين الإنكليز وأفعانستان وكان من قصد الشيخ السندي أن يثير الحكومة الأفغانية على تأييد القضية الهندية، ولقي لهذا المرام القائد التركي جمال باشا[١٣] حين زيارته كابل سنة ١٣٣٩هـ ، وفي هذا الجو قد ضاق مجال العمل للشيخ السندي فغادر كابل سنة ١٣٤١هـ مع زملائه وتحمل المكابد في هذه الرحلة ووصل في ماسكو بعد مروره ببخارا وتاشقند وأقام في ماسكو نحو تسعة أشهر، و تعلم قدر مستطاعه فلسفة الشيوعية ونظمها

١١- حبيب الله خان (٣ يونيو ١٨٧٢ – ٢٠ فبراير ١٩١٩م) أمير من أفغانستان بين عامي ١٩٠١ و ١٩١٩م. حبيب الله خان هو الابن البكر لعبد الرحمن خان بن محمد أفضل خان بن دوست محمد خان، والأخ الأكبر لنصر الله خان (١٨٧٤م)، تولى إمارة أفغانستان عام ١٩٠١م، التزم الحياد في أفغانستان في الحرب العالمية الأولى ، على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها سلطان الدولة العثمانية والقوة الألمانية لحشد أفغانستان على جانبها.اغتيل حبيب الله خان بينما كان في رحلة صيد في مقاطعة لغمان في ٢٠ فبراير ١٩١٩م.

١٢- أمان الله خان (١ يونيو ١٨٩٢ – ٢٥ أبريل ١٩٦٠م) هو ملك أفغانستان. تنازل عن الحكومة بضغط من بريطانيا، وعاش في منفاه في سويسرا. أصبح أمير أفغانستان عام ١٩١٩م قبل أن يحولها إلى ملكية عام ١٩٢٦م. خلفه على الحكومة عناية الله خان لمدة ثلاثة أيام فقط.

١٣- أحمد جمال باشا (١٨٧٣ – ١٩٢٢م)، والي بغداد العثماني وأحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي (الباشاوات الثلاثة) الذي اشترك في ثورة (تركيا الفتاة) عام ١٩٠٨م والتي أطاحت بحكم السلطان عبد الحميد الثاني ثم شارك في الانقلاب العسكري العثماني ١٩١٣م. ليشغل بعدها منصب وزير الأشغال العامة عام ١٩١٣م ثم وزيراً للبحرية عام ١٩١٤م، وتولى في الحرب العالمية الأولى منصب قيادة الجيش الرابع العثماني، وفي عام ١٩١٥م عين حاكماً على سوريا وبلاد الشام وفرض سلطانه على بلاد الشام وأصبح الحاكم المطلق فيها.

بمساعدة زميله ظفر حسن أيبك، ولقي بعض زعماء الحركة، وهناك رتب خطة للحكومة الحرة الهندية تقوم على الوفاق، وطبعها وأرسلها إلى الهند، ثم غادر إلى تركيا لتكميل تلك الخطة التحريرية الجهادية، ومكث في أنقرة ثم في استنبول وقابل عصمت باشا(١٤)، ثم من هناك سافر إلى مكة المكرمة عن طريق إيطاليا، ومكث نحو خمس عشرة سنة في هذه البلدة الطيبة ودرس تفسير القرآن للراغبين والطالبين، وهناك أملا على بعض تلامذته تفسيره **إلهام الرحمن** الذي هو موضوع هذا المقال، وسيجيء الكلام حوله بعد قليل، ثم عاد إلى وطنه ووصل إلى كراتشي وكانت الأحوال قد تغيّرت، وفي هذه المرحلة قد أبدى الشيخ بعض أفكاره التي نالت النقد من قبل العلماء، وهي التي مازالت موضع الغرض لسهام الناقدين، كما أنه قد دافع عنه العلماء الأجلاء في شبه القارة أمثال الشيخ حسين أحمد المدني والشيخ غلام مصطفى القاسمي والشيخ سعيد أحمد أكبر آبادي وغيرهم، وقضى الشيخ هذه المرحلة تارة في دهلي وتارة في السند، وكان يدرس **حجة الله البالغة** للشاه ولي الله الدهلوي على نمطه الخاص حتى وافته المنية في ٣ رمضان سنة ١٣٤٣هـ ودفن بجوار شيخه غلام محمد بقرية دين فور من توابع بهاولفور.

كان الشيخ عبيد الله السندي نابغة من نوابغ عصره في قوة الإرادة وتحمل المشقات، وكان مفرط الذكاء وجيد الاستعداد في فنون شتى، وكان عظيم الشغف بأفكار الشاه ولي الله الدهلوي دراسة وتدبرًا وتطبيقها على الأحوال الراهنة إبان عصره، وكان يدرس القرآن الكريم أيضًا في ضوء علوم وفلسفة الشاه ولي الله الدهلوي، وله منهج خاص في تفسير القرآن، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية، والمذاهب الاقتصادية، وكان يتوسع في الاعتبار والتأويل، ومن تلامذته النجباء الشيخ أحمد علي اللاهوري(١٥)،

١٤- مصطفى عصمت إينونو ((بالتركية: İsmet İnönü)؛ ٢٤ سبتمبر ١٨٨٤ – ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣م)، ثاني رؤساء الجمهورية التركية. تولى الرئاسة من ١١ نوفمبر ١٩٣٨ إلى ٢٢ مارس ١٩٥٠م. كما كان قد شغل منصب رئيس الوزراء عدة مرات في الفترات التالية من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٤م، ومن ١٩٢٥م إلى ١٩٣٧م، ومن ١٩٦١م إلى ١٩٦٥م شكل خلالها عشر حكومات، كما شغل منصب وزير الخارجية في الفترة من عام ١٩٢٢م إلى ١٩٢٤م. كما شغل منصب رئيس الأركان العامة بالفترة بين ١٩٢٠م إلى ١٩٢١م. كما أصبح زعيم حزب الشعب الجمهوري بالفترة من ١٩٣٨م إلى ١٩٧٢م.

١٥- هو شيخ التفسير أحمد علي اللاهوري مجاهد حركة المنديل الحريري وحركة حرية الهند ، ولد سنة ١٨٨٧م وتوفي سنة ١٩٦٢م. قد استفاد من الشيخ عبيد الله السندي وقضى معه خمس سنوات في أمروت (في السند) وبعد الفراغ درس في مدرسة دار الإرشاد، وقد لعب الشيخ دوره في جمعية علماء الإسلام، وكان يدرس القرآن الكريم ونفع به خلقا كثيرا.

والبروفسور محمد سرور ومحمد موسى جار الله[١٦] من علماء الروس وغيرهم[١٧].

المبحث الثاني:

دراسة التفسير

ندرس هنا عن جهود علماء شبه القارة في مجال التفسير، والتعريف بالتفسير **إلهام الرحمن في تفسير القرآن** وأهم ميزاته ومنهج المؤلف فيه.

إن أرض شبه القارة أرض خصب لإنجابها علماء أفذاذا في شتى المجالات منها مجال التفسير، وقد قام علماء كثيرون في كتابة التفاسير للقرآن الكريم، وهذا التاريخ وإن كان له جذور بعيدة إلا أننا نلاحظ حركة عامة في هذا المجال بوجود الشاه ولي الله الدهلوي الذي قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفارسية كاملا، ثم قام أبناؤه الشاه رفيع الدين الدهلوي والشاه عبد القادر الدهلوي بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأردية، ومن هذا يتسلسل الأمر فنرى العلماء أنهم يلعبون دورا جبارا في كتابة التفسير والكتب المتعلقة بعلوم القرآن، وهذه العملية نراها في اللغات المختلفة منها الأردية والعربية والفارسية والتفاسير في اللغات المحلية.

إن من تراث الشيخ السندي التفسيري، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ: **إلهام الرحمن في تفسير القرآن**، وقد أملاه الشيخ السندي لتلميذه موسى جار الله[١٨] العالم الروسي الذي تم لقاؤه مع الشيخ

١٦- موسى جار الله (١٢٩٥هـ - ١٣٦٩ هـ / ١٨٧٨م - ١٩٤٩م) هو موسى جار الله، ابن فاطمة، التركستاني القازاني التاتاري، الروستوفدوني الروسي: شيخ الإسلام بروسيا، قبل الثورة البلشفية وفى إبانها. ولد في (روستوف دون) بروسيا. تفقه بالعربية وتبحر في العلوم الشرعية. ثم كان إمام الجامع الكبير في بتروغراد (لنينغراد) وحج وجاور بمكة ثلاث سنين. وقد لقي الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، ثم لقيه مرة ثانية في مكة المكرمة حيث تعلم على يديه فلسفة الإمام الشاه ولي الله. ومن كتبه: **تاريخ القرآن والمصاحف، شرح ناظمة الزهر، نظام التقويم في الإسلام، نظام النسيء عند العرب، الوشيعة في نقض عقائد الشيعة** وغير ذلك.

١٧ - انظر لأحوال الشيخ: الحسني، **نزهة الخواطر**، ١٣٠٠ - ١٣٠٢.

١٨- موسى جار الله (١٢٩٥ - ١٣٦٩ هـ / ١٨٧٨ - ١٩٤٩م) هو شيخ إسلام روسية قبل الثورة البلشفية. هو موسى جار الله، ابن فاطمة، التركستاني القازانى التاتارى، الروستوفدونى الروسي: شيخ إسلام روسيا، قبل الثورة البلشفية وفي إبانها. ولد في (روستوف دون) بروسيا. وتفقه بالعربية وتبحر في علوم الإسلام. ثم كان إمام الجامع الكبير في بتروغراد (لنينغراد) وحج وجاور بمكة ثلاث سنين. من آثاره بالعربية: **تاريخ القرآن والمصاحف** وقد طُبع الجزء الأول منه، و **شرح ناظمة الزهر، والوشيعة في نقض عقائد الشيعة**. توفي بمصر عام ١٩٤٩ م ودفن بحوش الباشا،

السندي خلال سفره إلى روسيا، وخلال إقامته بمكة المكرمة قد لقيه مرة ثانية فاستقى من منبع علمه، فتلقى عنه فكرة الإمام الشاه ولي الله، فنسخ هذا التفسير بالسماع من الشيخ السندي، وذلك فقط في مئة وخمسين يومًا[١٩]، وخلال هذه المدة كان معه الشيخ عزيز أحمد بن أخي الشيخ السندي وأخو الشيخ أحمد علي اللاهوري، وقد أخذ نسخة هذا التفسير من الشيخ موسى جار الله وجاء بها إلى الهند، وقد حقق ونشر جزءا منه (من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال) الشيخ غلام مصطفى القاسمي السندي من أكاديمية الشاه ولي الله حيدر آباد، وقد ترجم هذا التفسير إلى اللغة الأردية من البقرة إلى المائدة، محمد عبد الرزاق خريج دار العلوم ديوبند وتلميذ الشيخ السندي، ثم قام بعمل الترجمة من بداية مقدمة التفسير وسورة الفاتحة وسورة الأنعام إلى سورة التوبة، مولانا محمد قاسم، ونشر هذه الترجمة مولانا محمد معاوية من "كبير والا" منطقة معروفة. وهذه الترجمة مطبوعة من مكتبة أوراق "لاهور" وتوجد في الأسواق والمكتبات[٢٠] ولكن بقية المخطوط لا تزال في حاجة إلى إخراجها في ثوب يليق بمكانتها العلمية.

المطلب الأول:

نسبة التفسير إلى الشيخ السندي

من الأسئلة التي مازالت موضع النقاش عند معتني فكرة الشيخ السندي، ما نجده في الكتب المكتوبة باسم الشيخ السندي، أَ كُلّه من فكرته أم بعضه دخيل من قبل تلامذته؟ وفي هذه المسئلة نجد خلافاً بين الموقفين: بعض العلماء مثل الشيخ عبد الحميد السواتي[٢١] والشيخ زاهد الراشدي[٢٢] والشيخ عبد الحق خان بشير[٢٣] يقول: إن تلامذة الشيخ السندي أدخلوا في كتبه ما ليس من فكرته الأصيلة. وبعضهم

مقابر الأسرة المالكة الخديوية، في القاهرة.

١٩- عبد الحميد السواتي، **مولانا عبيد الله سندھی کے علوم وافکار** (جوجرانواله: مكتبه حميديه، ١٤٢٣هـ) ص٦٧.

٢٠ - انظر: **الترجمة الأردية لإلهام الرحمن** (لاهور: مكتبة أوراق، ٢٠٠٥م) ص٢٦.

٢١- هو الشيخ عبد الحميد السواتي، باني مدرسة نصرة العلوم بجوجرانواله، وله تفسير ضخيم للقرآن الكريم على منهج فكرة الشاه ولي الله الدهلوي. وله كتاب حول الشيخ السندي باسم: **مولانا عبيد الله سندھی کے علوم وافکار**.

٢٢- هو من العلماء الكبار في باكستان، شيخ الحديث بمدرسة نصرة العلوم المذكورة.

٢٣- هو أخو الشيخ زاهد الراشدي صاحب تصانيف شتى.

مثل أبي سلمان شاه جهان فوري[٢٤] يقول: إن تلامذة الشيخ قد عبروا فكرة الشيخ السندي بألفاظهم، ولكن جوهرها ومغزاها من فكرة الشيخ السندي. وهذا السؤال أيضًا موجه إلى تفسير الشيخ السندي **إلهام الرحمن**، فيقول الشيخ عبد الحميد السواتي:

هذا [التفسير] لم يكتبه الشيخ السندي بيراعه، بل إنه خطاب إملائي، نعم! إن كثيرًا مما فيه هو من كلام الشيخ السندي، ولكن من الظلم نسبة الكتاب بأجمعه من البداية إلى النهاية إلى الشيخ السندي، ويصح أن نعبر هذه النسبة بالخيانة العلمية، فإن بعض ما فيه مشتبه وخطأ لم يقل به الشيخ السندي ولا هو يلائم فلسفة الشاه ولي الله، وقد جاء موسى جار الله في السنوات الأخيرة من عمره إلى الهند ومكث في *بهوپال*،... (وقد أملا عليه الشيخ السندي هذا التفسير وهو الذي أدخل في كتب الشيخ السندي الأفكار منه) فبناء على ذلك إن نسبة **إلهام الرحمن** كله إلى الشيخ السندي لايطابق الأمانة العلمية، ..[٢٥].

يقول الشيخ زاهد الراشدي:

المسئلة المهمة هي مسئلة تعبير أفكار الشيخ عبيد الله السندي وشرحها، فإنه للأسف يظن الناس أن البروفسور محمد سرور وغيره هم شارحوا الشيخ السندي، والذين كانوا متأثرين بالشيوعية، وحاولوا أن يترجموا عن الشيخ بهذه الصبغة، وهذا الأمر أدى إلى فكرة أن الشيخ السندي كان متأثرا بهذه الدعاية وكان مبلغًا لها، والأمر أن هذه الفكرة خلاف الأمر الواقع...وعندي مولانا أحمد علي اللاهوري ومولانا حفظ الرحمن السيوهاروي ومولانا سعيد أحمد أكبر آبادي ومولانا خواجه عبد الحي الفاروقي ومولانا المقرئ محمد طيب وغيرهم هم الممثلون الحق لفكرة الشيخ السندي...[٢٦].

هذا رأي الشيخ السواتي ولكن هناك رأي آخر للدكتور أبي سلمان الشاهجهانفوري، فيقول:

إن [**تفسير إلهام الرحمن**] قد صرح عنه العلامة [موسى جار الله] أنه رتب بألفاظ مولانا السندي، لم يصدر من لسانه لفظ إلا وقد حُفظ أمامه بكل دقة، وسرّح الشيخ السندي بالنظر في تلك الأمالي وأبدى اطمئنانه ومسرته على جهد العلامة جار الله واهتمامه بالصحة، ثم إن الشيخ السندي أفصح عن إصلاحه

٢٤- هو من المحققين الكبار في باكستان، له تصانيف عديدة حول الموضوعات المختلفة.

٢٥- السواتي، المرجع السابق، ص٦٧- ٦٩.

٢٦- عبدالحق خان بشير، **مولانا عبيد الله سندھی اور تنظيم فكر ولی اللہی** (گجرات: حق چار یار اکیڈمی، ٢٠٠٤م) ص ١٠-١١.

ومسرته في كتابة له[٢٧].

وقد ترجم شيء من تفسير **إلهام الرحمن** إلى اللغة الأردية، وذكرت فيه إبداءات العلامة جار الله ينبغي نقل جزء منها هنا. يقول العلامة: " لم يكن الشيخ السندي يمسُّه نصب في إملاء التفسير، وكنت في نشاط ومسرة وازداد شوقًا إلى السماع والكتابة.... لما نظر الشيخ السندي إلى الأمالي بأكملها ولاحظ أيضًا أني ركزت على النظم والضبط بكل اهتمام، سُرّ بذلك جدًا"[٢٨].

يقول الدكتور أيضًا بعد ذكر ميزات التفسير **إلهام الرحمن**: إن مولانا السندي قد نظر في الأمالي المؤلفة ولم يأل السامع جهدًا في الضبط والكتابة، وقد اطمأن الشيخ بعد ملاحظة هذه المسؤولية وأبدى مسرته. ولا نجد مثل هذه الصراحة عن الأمالي الأردية والسندية، فلايمكن الثقة بهذه الدرجة على أية مجموعة من مجموعات الأمالي سوى أمالي موسى جار الله[٢٩].

هذان رأيان لعالمين جليلين لهما مكانة مسلمة في الأوساط العلمية، ففي ضوء قول الشيخ موسى جار الله يترجح رأي الدكتور سلمان شاه جهانفوري،لأن القارئ حينما يرجع إلى كتب أخرى عن أفكار الشيخ السندي ألفها تلامذته آخرون مثل البروفسور سرور، إنه يجد نفس الفكرة فيها، فيتلجلج في خلده هل أجمع جميع التلامذة على الدس كما يدعي العلماء مثل الشيخ السواتي وأمثاله؟ الأمر أن من سجية الإنسان جرّ الشخصيات الفذة إلى شاكلات ذهنية خاصة له، وإذا ما لم يلائم شيء من أفكار تلك الشخصيات ما عنده من الشاكلة المخصوصة، يقوم بالتأويلات أو ادعاء أنهم لايمكن منهم صدور مثل هذه الأفكار، والأمر أن الشخصيات العبقرية لايتقلدون بمنهج خاص مثل العامة، وإنهم يكوّنون فكرًا خاصًا لهم يمكن الاختلاف عنه، ولكن لاينبغي أن نجرّهم إلى الشاكلات الخاصة لنا، فإن هذا يضر فكرتهم ويخفي معالم شخصياتهم، وهذه الكارثة قد حلت – للأسف – على فكر كثير من الأعلام مثل ابن تيمية والشاه ولي الله

٢٧- أبو سلمان الشاهجهانفوري، ***امام انقلاب مولانا عبيدالله سندھی—حیات وخدمات*** (لاهور: سندھ ساگر اکادمی، ٢٠١٦م) ص٢٦٦.

٢٨- المرجع نفسه، ص٢٤٨، ٢٤٩، نقلا عن **إلهام الرحمن في تفسير القرآن** (الأردي)، نشره محمد معاوية (كبير والا مديرية ملتان) ص٤- ٦.

٢٩- المرجع نفسه، ص٢٥٠.

ومحمد إقبال وغيرهم.

المطلب الثاني:

الميزات المهمة لتفسير إلهام الرحمن

إن تفسير **إلهام الرحمن** ما زال مخطوطًا ولم ينشر بأكمله حتى الآن، وتوجد له نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، وللتفسير نسخة أخرى بماليزيا، وهذا المقال مبني على أساس المخطوط الأول، فبعد المراجعة إلى هذا المخطوط، قمت بدراسته، وهناك بعض الخصائص المنهجية للتفسير، والمنهج المتبع فيه المنهج الوصفي النقدي.

تفسير القرآن حسب ترتيب النزول

من الميزات المهمة للتفسير **إلهام الرحمن** أنه اتبع فيه مؤلفه الترتيب النزولي دون التفسير المتبع عند عامة المفسرين، وهذا الاتجاه التفسيري من مميزات القرن العشرين حيث قام بعض المفسرين بتفسير سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول[٣٠].

٣٠- ومن هذه التفاسير:

تفسير بيان المعاني للشيخ ملا حويش آل غازي الفراقي الديرزوري (١٨٨٠-١٩٧٨م) وهذا التفسير في ستة مجلدات.(مطبعة الترقي – دمشق، ١٩٦٥م).

التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة (١٨٨٧-١٩٨٤م) والتفسير في عشر مجلدات.

فهم القرآن الحكيم - التفسير الواضح حسب ترتيب النزول لمحمد عابد الجابري (١٩٣٥-٢٠١٠م) والتفسير في ثلاث مجلدات.

معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني (١٩٢٧-٢٠٠٤م) والتفسير في خمسة عشر مجلدا، ويحتوي على تفسير السور المكية، ولكن المؤلف لم يوفق لاكتماله.

وهذا النوع من التفسير من الاتجاهات الجديدة في تفسير القرآن، و لتبرير هذا المنهج التفسيري يقول الشيخ عزت دروزة في مقدمة **التفسير الحديث** إنه استفتى أبا اليسر عابدين مفتي سورية والشيخ عبد الفتاح أبا غدة فقال الأول: إن التفسير لا يتلى حتى يراعى فيه ترتيب الآيات والسور وقد يفسر المفسر سورة ويترك أخرى وقال الثاني: إن غرض المفسر غير غرض التلاوة فلا مانع من هذا النوع من التفسير والعلماء في القديم قد سلكوا هذا المسلك حيث سلك الشيخ جلال الدين المحلي والسيوطي في تفسيرهما المعروف **بتفسير الجلالين** فقد بدأ الأول من آخر القرآن في التفسير وهو صاعد إلى سورة الكهف ثم مات فأتم السيوطي من حيث وقف إلى أول القرآن، وهكذا بعض العلماء الآخرين.

هناك أمر ينبغي أن نأخذ به وهو أن ترتيب القرآن حسب ترتيب النزول أمر لايتوقف على التوقيف، وليست عندنا روايات معتبرة ترشدنا على هذا الترتيب بالجزم، وجميع المفسرين عبر التاريخ قد اختاروا الترتيب المصحفي في تفسير القرآن. وقد ذكر في كتب علوم القرآن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده مصحف حسب ترتيب النزول، ويقول العلامة جلال الدين السيوطي في هذا الصدد: " ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله سورة اقرأ، ثم سورة المدثر، ثم سورة ن، ثم سورة المزمل، ثم سورة تبت، ثم سورة التكوير"[٣١]. ولكن الترتيب الذي تمّ عليه الاتفاق في عهد عثمان هو الترتيب الموجود اليوم، ولم يحصل لمصحف عليٍ رواجٌ في الأمة ولا هو موجود بين أيدينا، ولذلك نرى في التفاسير المذكورة- منها **إلهام الرحمن**- أنه لايوجد فيها الترتيب الواحد، بل هناك تقدم وتأخر في وضع السور.

مراعاة فكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في تفسير إلهام الرحمن

الشيخ ولي الله الدهلوي (١٧٠٣-١٧٦٢م) أحد العلماء النبلاء، كان أبوه الشيخ عبد الرحيم من أعيان الدهلي، أخذ العلوم عن والده الشيخ عبد الرحيم وفرغ من التحصيل في الخامس عشر من عمره، كان قد حصل له الفتح العظيم في التوحيد والجانب الواسع في السلوك، وكان قد خاض في بحار المذاهب الأربعة ونظر في مستدلاتهم وارتضى بطريق الفقهاء المحدثين. رحل إلى الحرمين فمكث هناك عامين وصحب العلماء هناك واستفاد منهم، وكان له يد طولى في شتى فنون وعلوم من التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والكلام وغير ذلك. له ترجمة فارسية للقرآن و**الفوز الكبير في أصول التفسير وحجة الله البالغة** في علم أسرار الدين و غير ذلك[٣٢]. إن الشيخ بمثابة الجسر بين القديم والحديث، ويعدّ الشيخ عبيد الله السندي أكبر شارح في شبه القارة لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، فهو يستخدم كثيرًا مصطلحات

(انظر: محمد عزت دروزة، **التفسير الحديث** [مرتب حسب ترتيب النزول]، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣ هـ) ج١، ص١٠.

٣١- عبدالرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(م ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم(الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤هـ) ج١، ص٢١٦.

٣٢- الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٦، ص٨٥٦.

الشاه ولي الله في تفسيره مثل حظيرة القدس والملأ الأعلى والملأ السافل والتجلي الأعظم والنفس الرحمنية وغير ذلك، ونجد الإحالة إلى أفكار الشاه ولي الله خلال قراءة التفسير، وقد مر من كتابة الشيخ السندي أنه ما زال مشغوفا بدراسة كتب الشاه ولي الله[٣٣].

إن الشيخ الشاه ولي الله قد ألف في شتى المجالات منها القرآن وعلومه والحديث والفقه والتصوف والكلام وغير ذلك، وقد ترجم القرآن الكريم بأكمله إلى اللغة الفارسية، ثم ألف كتابا قيما **الفوز الكبير** في أصول التفسير، وقد استفاد الشيخ السندي من هذه الأعمال، يقول الشيخ عن هذا الكتاب:

"لما وصلت إلى السند وجدت نسخة **للفوز الكبير**، قبل ذلك كنت مشوشا جدا لأجل مطالعة تفسير الإمام الرازي، فلما وصل **الفوز الكبير** بيدي وفرغت من قراءة الفصل الأول منه اطمأننت بأنه لو شاء الله أتعلم علم التفسير فمن ذلك اليوم حتى الآن لم أحتج للخروج من مسلك الشاه ولي الله"[٣٤].

يحيل الشيخ السندي إلى فكرة الشاه ولي الله مرة وأخرى في كتاباته وفي تفسيره، مثلا يحيل الشيخ السندي في تفسير سورة ن تحت الآية ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ إلى مقولة الشاه ولي الله، فقال:" قال الشاه ولي الله إن يونس لم يكن نبيًا قبل ذلك، بل جعله الله نبيًا بعد خروجه من بطن السمك"[٣٥]. ويقول في تفسير سورة العلق قال الشاه ولي الله: إن النبي عليه السلام بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى[٣٦] ، والصحابة داخلون في البعثة الأخرى، في ضمن ذلك يستند الشيخ السندي إلى الأصول التي

٣٣- عبد الله اللغاري، ***مولانا عبید اللہ سندھی کی سرگذشتِ کابل***، رتبه: الدكتور غلام مصطفى خان، *خودنوشت حالات* بقلم الشيخ عبيد الله السندي(إسلام آباد: *قومی ادارہ برائے تحقیق تاریخ وثقافت*، ٢٠١٧م) ص١٤.

٣٤- عبيد الله السندي، ***امام ولی اللہ دہلوی کی حکمت کا اجمالی تعارف***، ت: عطاء الرحمن القاسمي(الدهلي: أكاديمية الشاه ولي الله) ص٣٢.

٣٥- تفسير سورة ن. لعل هذا القول ضعيف، فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

٣٦- قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **حجة الله البالغة**: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى فالأولى إنما كانت إلى بني إسمعيل... والثانية كانت إلى جميع أهل الأرض عامة بالارتفاق الرابع. (أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، ت: السيد سابق (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥م) ج١، ص٢١٤، ٢١٥).

مهدها الإمام الشاه ولي الله في كتبه منها **حجة الله البالغة** حيث ذكر فيه عنوانًا باسم "باب كيفية فهم المراد من الكلام" ثم "باب كيفية فهم المعاني الشرعية من الكتاب والسنة" فذكر تحته عشرة أصول لفهم الكلام [٣٧].

تطبيق النظريات القرآنية في المجال الاجتماعي والتربوي:

ظهرت في مجال تفسير القرآن الكريم في القرون الأخيرة حركات اجتماعية لاسيما حركات التجديد والنهضة في سائر أقطار العالم الإسلامي، وهي مازالت في استمرار حتى عصرنا الراهن، ففي هذه الظروف قد قام العلماء بالاهتمام بالجانب الاجتماعي للقرآن، وبناء على ذلك نراهم يحاولون طرح الحلول للمشكلات المادية والمعنوية في المجتمع في ضوء تعليم القرآن الكريم، وذلك على أساس أن القرآن الكريم هو النور الخالد لجميع العصور، وإنه يشمل كافة أبعاد الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية، وهذا الأمر من أهم ما يبتني عليه التيار الاجتماعي التفسيري، وقد برز هذا الاتجاه في تفسير عديد من المفسرين في العرب والعجم، منهم الشيخ عبيد الله السندي الذي طبق هذا المنهج في تفسير القرآن إلى أقصى ما يمكن. وفي هذا الصدد هو أيضًا يقوم بالنقد على الشيوعية (Socialism) يقول في تفسير سورة البقرة:"الأمر الأول في الدين هو الإيمان بالله (مع مقتضياته)، ثم عمارة البيت، ثم النكاح، ثم الكسب، ولكن في أوربا اليوم الشيوعيون لهم الغلبة، فهم يختارون الترتيب العكسي.[٣٨] يقول الشيخ السندي عن ضرورة التفسير الاجتماعي للقرآن في تفسير سورة العصر حيث يقول:" والمانع الثاني الذي خفى عن كثير من الناس في الحكمة القرآنية اعتمادهم على ما وصل إليه مشايخهم من التحقيقات العلمية ويكون فيه مداخلة كثيرة للسياسيات المتبدلة في تاريخ الإسلام، فهؤلاء طلبة العلم يعتقدون أن ما علمه مشايخهم من الحقائق هي بعينها لازم أن توجد في القرآن وإذا يئسوا من ذلك يضعف اعتقادهم في القرآن بأنه كتاب علمي. نتيجة بحثهم تكون أن القرآن كتاب خطابي مناسب لأهل ذلك العصر من بادية العرب. أما نحن فوصلنا إلى تحقيقات عالية وهذه كلها باجتهاد مشايخنا" [٣٩].

يقول الشيخ السندي في تفسير سورة العلق: إن من مقاصد النبي صلى الله عليه وسلم هو

٣٧- انظر هذا البحث مفصلا: المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٤.

٣٨- تفسير سورة البقرة، اللوح ٢٩.

٣٩- **إلهام الرحمن**، تفسير سورة العصر، اللوح ١٥.

الإصلاح القومي والثاني هو الإصلاح العالمي. والمراد في هذه السورة هو الأول وإليه أشار بقوله "ربك" لأن خطاب رئيس القوم يراد به القوم كله، وفي سورة الفاتحة هو الثاني، كما يدل عليه جمع العالمين في قوله: "رب العالمين" (٤٠).

مراعاة فن الاعتبار في تنزيل الآيات على الواقع

إن من الأمور التي راعاها الشيخ السندي في تفسيره هو فن الاعتبار، وبذلك ينزّل الشيخ السندي الآيات على الواقع ويستخرج منها المعاني الجديدة، وهذا حرصًا منه لهداية الجيل الجديد إلى القرآن الكريم، فإن الرجال المثقفين الجدد لايتأثرون برسالة قدمت في الثوب التقليدي وهذا الأمر يواجهه الدعاة مرة وأخرى. يقول الشيخ وحيد الدين خان:

"لقيت في الأيام الماضية الدكتور إكرام الحق، وكان له شغف بالداسات الإسلامية، فقال إني قمت بقراءة كثير من التفاسير الأردية ولكن قلبي لم يطمئن بذلك، ومثل هذا الانطباع نجده عند كثير من المثقفين الجدد، سبب ذلك أن التفاسير كتبت في الأسلوب التقليدي دون الأسلوب الاجتهادي، وقدمت لذلك مثالًا من القرآن. قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾(٤١) ومضمون هذه الآية يجذب إليه الجيل الجديد الذي يحب الأمن والسلامة، ولكن التفاسير لم تقم بفتح معنوية هذه الآية، وحملها المفسرون على اليهود السابقين، كأنها حكاية الأمر الماضي وليست لها علاقة بالوضع الراهن، والنكتة المهمة لفهم القرآن أن ما قيل في السياق الماضي، ينبغي أن يراه المفسر في السياق الراهن ويكتشف انطباقه الجديد، فبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الآية فيها أصول أبدية، وهو أن أهل الإسلام عليهم أن يتجنبوا عن الحرب أوقدها غيرهم"(٤٢).

ونفس هذا الأمر قد واجهه الشيخ السندي، فحاول تنزيل آيات القرآن على الواقع مستعينًا بفن الاعتبار، وفي بيان فن الاعتبار يقول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **الفوز الكبير** في أصول التفسير:

المراد من الاعتبار أو العبرة لغة هو العبور من جانب الطريق أو النهر إلى جانب آخر منه، وفي

٤٠- نفس المصدر، اللوح ٨.

٤١- سورة المائدة، الآية: ٦٤.

٤٢- وحيد الدين خان، "**مجتهدانہ اسلوبِ دعوت**" في الرسالة، دهلي،٤٣: ٦ (٢٠١٩م) ص٧.

الاصطلاح : هو انتقال الذهن وعبوره من الدليل إلى المدلول (الدعوى) أو من المنصوص إلى غير المنصوص (المقيس) ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[٤٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[٤٤] وليس هذا خارجًا من طرق الاستدلال الأربعة (عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص)، بل الاعتبار نوع من إشارة النص، فإذا كان بناؤه على علة فقياس، وإلا فإشارة النص[٤٥].

والتفسير الإشاري عند الصوفية هو النظير لمثل هذا الاستنباط، ولكن الفرق بين ما يقدمه الصوفية وما قدمه الشيخ السندي، هو أن الصوفية ذكروا الأمور الأخلاقية والروحية استنباطًا من النصوص، وأما الشيخ السندي فهو يستنبط الأمور الاجتماعية والسياسية من إشارات نصوص التنزيل.

والنظير الثاني لهذا النوع من الاعتبار هو التفسير العلمي السائد في العصر الحديث. فلو لم يترك التفسير المأثور السائد على مر العصور، ولكن بجنب ذلك أشير إلى الأمور الاعتبارية، فلعله مسموح به إلى حد ما لم يقض على المعاني المتبادرة، يقول الدكتور سعيد الرحمن مشيرًا إلى الجانب الاعتباري لتفسير الشيخ السندي:

إن الإفادات القرآنية لمولانا عبيد الله السندي ليست نتيجة الإنكار للتفاسير السابقة، بل إنها عبارة عن البحث عن المعارف مع الاستفادة من التفاسير...وهو في هذا الصدد يعمل بقول الله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾، والاعتبار عبارة عن استنباط عن الحل للمسائل المستجدة، ومثال ذلك تلك الآيات التي نزلت في غزوة بني نضير وهي بمعناها المتبادر مبنية على الدعوة إلى أخذ النتائج بزوال بني النضير، ولكن الفقهاء توسعوا في ذلك واستدلوا على حجية القياس وهذا مفهوم بعيد، ولم يقم أحد بالتحدي لصالح الفقهاء للدين، فما ظنك بالذي يأخذ مفهوما أقرب منه؟ وذلك عبارة عن التفكر في أسباب زوال الأمم وربطه بالقرآن.[٤٦]

٤٣- سورة الحشر، الآية: ٢.

٤٤- سورة آل عمران، الآية: ١٣.

٤٥- الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير** (كراتشي: بيت العلم، ٢٠٠٦م) ص١٠٣.

٤٦- سعيد الرحمن، "حرف فكر"، عبيد الله السندي، **تفسير المقام المحمود** (جزء عم) (لاهور: مكي دارالكتب، ٢٠٠٤م) ص ٣.

إن الشيخ السندي يريد في كثير من المواضع المعنى البعيد اعتبارًا من المعنى الظاهر، ومثال ذلك في تفسير سورة الغاشية حيث يقول:

فاعلم أن المراد بالغاشية في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾[٤٧] هو انقلاب الحجاز يعني الانقلاب الذي يقع بتعليم القرآن في الحجاز في حياة النبي عليه السلام أولا في الحجاز ثم في باقي العرب، ويكون الناس فيه قسمين: قسم يخالف الانقلاب ويسعى في مخالفته حتى لايفوز الانقلاب وقسم يؤيده، فيفوز هذا القسم ولم يفز القسم الأول مع سعيه الشديد في مخالفته. (الْغَاشِيَة) الانقلاب الحجازي وما حول الحجاز من العرب للحجاز، ثم بين حال مخالفي هذا الانقلاب بقوله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أي يوم هذا الانقلاب (خَاشِعَةٌ) ذليلة (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) يعني أنها ذليلة مع العمل الشديد الذي صارت به نَاصِبَةٌ في مخالفة الانقلاب حتى لايقع لكن لم يفوزوا في محنتها، فصارت ذليلة تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، لأن الناس يخرجونهم من الأمصار بعد الانقلاب إلى الصحارى، فيصلون شدة حر الحجاز، لأنه ليس في صحارى الحجاز ظل الأشجار تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ في صحارى الحجاز، لأنه ليس فيها ماء بارد[٤٨].

ويقول أيضًا: "خصص المفسرون ما ذكر في سورة الغاشية وكذا في غيرها بالآخرة، وهذا التخصيص ليس بصحيح، بل هو يعم الدنيا والآخرة، نحن لاننكر كونه في الآخرة، بل ننكر تخصيصه بالآخرة"[٤٩]. وفي مقام آخر ينتقد الشيخ السندي على المفسرين وذلك لأجل أنهم يريدون من مثل الآيات المذكورة الأمور الأخروية فقط، فيقول: "من الأسف أن المفسرين نشأوا من غلبة المسلمين على أكثر الممالك وتنظيم حياة المسلمين على الأحكام الإسلامية، فلا يفهمون معنى يوم الانقلاب ويؤلون كل ذلك إلى يوم القيامة لو كانوا أدركوا في شيء من يوم الانقلاب ما فعلوا ذلك"[٥٠]. مثل هذا الكلام نجده في تفسير سورة المدثر تحت قوله تعالى: فإذا نقر في الناقور حيث يقول: فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ وجاء أوان الرحلة من الدنيا. النقر في الناقور كان علامة الرحلة في القوافل، معنى هذا وقت رحلة الإنسان من هذا الدار عندنا. وليس معناه

٤٧- سورة الغاشية، الآية: ١.

٤٨- عبيد الله السندي، **إلهام الرحمن**، نسخة إسلام آباد (ن إ)، اللوح ٢٥.

٤٩- نفس المصدر.

٥٠- تفسير سورة المزمل.

القيامة كما يستعمله أكثر المفسرين[٥١] . إن من الشرائط لقبول التفسير الإشاري عند الصوفية ما ذكره العلماء، منها عدم إنكار المعنى الظاهر، وأن هذه الأقاويل ليست بتفسير القرآن، بل يجب الاعتقاد بأن مراد القرآن الكريم الأصيل هو ما يفهم من أصل مآخذ القرآن، وهذه الأقوال بمثابة الاستنباطات الوجدانية، فلو نظن أن هذه الأقوال تفسير القرآن فإنه ضلالة.

ومن أمثلة تنزيل الآيات على الواقع عند السندي إرادته من قوله تعالى: ومن الأرض مثلهن الأقوام السبعة: الصينيون والهنود وأهل إيران والأتراك والعرب والأوربيون والحبشيون، ويريد الشيخ السندي أن الله تعالى أظهر دينه على الأديان والمراد غلبة الدين على أديان هذه الأقوام وقد حصل ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه[٥٢] .

التفسير الجديد عما عليه المفسرون

في كثير من الأحيان يريد الشيخ المعنى الجديد للآيات القرآنية عمّا عليه المفسّرون، فمثلا قال في قوله تعالى آخذا الأصول من الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ في النبي تكون قوّتان: قوة الفعل و قوة الانفعال، والمنفعل من النبي في العلم هو الصديق، والمنفعل من الصديق هو الصالح، والنبي نفسه يكون شهيدًا، لأن المراد بالشهيد هو من يكون فيه قوة العمل على الغاية، لايرجع وإن قتل، فالذي حصل فيه قوة الفعل من النبي مثل النبي فهو الشهيد وإن لم يقتل، فالصديق بعد النبي يكون مجددًا، والصالح هو يكون شهيدًا إذا كان في غاية القوة، فمن يكون تحت الصالح فهو ليس بشيء، وهو لايخلو إما أن يكون فيه قوة العلم مع عدم قوة العمل، فهو المغضوب عليه، وإما أن لايكون فيه قوة العلم، فهو الضال، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٥٣].

موقف الشيخ السندي من أقسام القرآن

القسم يمين يقسم بها لتأكيد شيء، وقد ورد القسم مع مشتقاته في القرآن في مواضع شتى، وجاء في كثير من الآيات أن اللفظ المختار للقسم حلف أو يمين، وهناك يرد سؤال كيف يقسم الله بخلقه وقد جاء

٥١- سورة المدثر.

٥٢- **إلهام الرحمن**، تفسير سورة الفاتحة، اللوح ١٠.

٥٣- المصدر نفسه.

النهي عن اليمين بغير الله تعالى؟ وقد أجاب عن هذا السؤال الإمام جلال الدين السيوطي بأوجه:

أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع(٥٤). ولكن الشيخ عبيد الله السندي يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة مهما كان بأمر عظيم أو لا؛ يقول في تفسير سورة العصر: "إن المراد من القسم في العرفيات العامة والذهنيات المشتركة هو إبداء شهادة على المقصد، والأدلة الدالة على المطلوب تكون على قسمين." ويقول أيضًا في تفسير سورة الذاريات:" أكثر المفسرين يزعمون أن القسم إنما يأتي بالأشياء المتبركة المعظمة، فاختلف آراؤهم في تفسير السورة. قال بعضهم إنها قسم بخيل الغزاة، والسورة مكية فاستشكلت عليهم، فأوّلَها البعض بأن الآية إشارة إلى أن الغزاة يكونون فيما بعد. وقال البعض إنها أهل العرفات وخيلهم وهذا لاينطبق فإن المغبرّات صبحًا لاتكون في أهل العرفات وعندنا ليس المراد الأشياء المتبركة المقدسة، بل خيول المنتبهين المغبرين الذين يعرفها العرب بطبيعتهم ويعرف خاصيتها"(٥٥).

إن الشيخ حميد الدين الفراهي من علماء شبه القارة أيضًا يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة وجملة القسم تتضمن بالشهادة على أمر ما.

بعض مصطلحات الشيخ السندي

يستخدم الشيخ السندي بعض المصطلحات في التفسير باللغة الأردية، مثل انقلاب، نعره، پروگرام، ولعل هذا مراعاةً لمخاطبي شبه القارة.

هذه أكبر ميزات التفسير **إلهام الرحمن** التي تتجلى من خلالها منهج التفسير ومضمونه.

ثم بعد دراسة التفسير ينبغي هنا إلقاء الضوء على مخطوط التفسير، فمخطوطه محفوظ اليوم في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية – مكتبة حميد الله – برقم: ٨٤، ٨٥، ٨٦ ومصورة (بميكروفيلم) برقم: ٨٤، ٨٥، ٨٦ ، وهي نسخة خزائنية نفيسة بغلاف جلدي، وعدد أوراقها ٦٦٨ورقة للمجلد الأول٣٩٦ ورقة

٥٤- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) **الاتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م) ج٤، ص٥٥.

٥٥- تفسير سورة الذاريات.

للمجلد الثاني، و٤٤٦ ورقة للمجلد الثالث، وعدد أسطر كل صفحة ٢٠ سطرًا على الاختلاف فإن المجلد الأول بعض صفحاته لها ٣٢ سطرًا، وعدد كلمات كل سطر عشر كلمات تقريبًا.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المخطوط ليس في خط واحد وبيد ناسخ واحد، بل يظهر بعد مقابلة الألواح من المواضع المختلفة أن المخطوط قد نسخ تارة بخط النستعليق ومرة بخط النسخ.

وأخيرًا لابد من الإشارة إلى بعض الأمور:

الأول أن هذا التفسير هو حصيلة الفكرة المبتكرة للشيخ السندي، فليس على طراز كتب التفسير العامة، وهذا الأمر يؤدي حينًا لآخر إلى الإشكال في فهم المخطوط في مواضع شتى.

الأمر الثاني أن لغة التفسير يشوبها أسلوب العجمة كثيرًا، فبذلك يقع في العبارة التعقيد اللفظي الذي يسبب الغموض في التأليف النحوي للجمل وتارةً إلى الأخطاء الجلية النحوية، وأكيدًا يرجع هذا الأمر إلى النساخ، فإن الشيخ السندي قد كتب كتبًا أخرى باللغة العربية، ولكنها بمعزل عن مثل هذه الأخطاء.

نتائج البحث

في ضوء البحث المذكور توصل الباحث إلى ما يلي:

١- إن تفسير الشيخ السندي تفسير منفرد من جهة أنه رتب حسب ترتيب النزول وعلى هذا النمط قد كتبت تفاسير أخرى أيضًا.

٢- يراعي الشيخ في تفسيره فكرة الإمام الشاه ولي الله فيذكر في كثير من المواضع المصطلحات التي استخدمها الشاه ولي الله في كتبه.

٣- يستنبط الشيخ من القرآن الأمور الاجتماعية الاقتصادية مراعاة لفن الاعتبار، والاعتبار عبارة عن أخذ معاني النص من جهة الإشارة والدلالة الخفية.

٤- في أكثر من موضع يذكر الشيخ التفسير الجديد للنصوص عما عليه المفسرون الآخرون.

٥- بالنسبة إلى أقسام القرآن، للشيخ نظرة خاصة وهي أن الأقسام القرآنية تكون بمثابة الاستشهاد على شيء، ومن هنا يلائم موقفه موقف الشيخ حميد الدين الفراهي الذي كتب رسالة مستقلة حول أقسام القرآن.

٦- للشيخ السندي بعض المصطلحات الخاصة يخاطب بها أهل شبه القارة وهي مثل (پروگرام)، انقلاب وغير ذلك.

هذا التفسير من الناحية اللسانية يشوبه العجمة، ففي كثير من المواضع توجد فيه أخطاء نحوية وأخطاء الأسلوب العربي وغير ذلك.

التوصيات

يحتاج التفسير **إلهام الرحمن** إلى التحقيق حتى يخرج مخطوطه إلى ثوب الطباعة.

إن التفسير فيه بعض الوقائع بمثابة الجمل المعترضة وليس لها دخل بدون الواسطة في التفسير، فينبغي أن تنشر على حدة.

إن التفسير كما ذكر آنفًا فيه أخطاء نحوية وأسلوبية، فينبغي مراجعته بأكمله وإزالة الأخطاء.

يحيل الشيخ مرة وأخرى إلى كتابات الإمام الشاه ولي الله فينبغي تخريج مثل هذه المواضع.